

كيف تولدت الطيور

علم في أدب

لا يعنـى أنـى في تولـد انـواع الـطـيـور مـذـهـبـين الـأـوـلـاـنـاـخـلـقـتـ وـكـلـ نوعـ مـهـاـقـامـ بـأـسـوـعـ بـعـمـيـزـاتـ وـأـنـ ماـ يـبـهـاـ مـنـ التـشـابـهـ إـنـاـكـانـ لـأـنـ خـالـقـهـ أـرـادـ أـنـ يـكـونـ يـبـهـاـ هـذـاـ التـشـابـهـ مـنـ بـعـضـ الـوـجـوهـ كـاـرـادـ أـنـ يـكـونـ يـبـهـاـ اـخـتـلـافـ مـنـ وـجـوهـ أـخـرـىـ لـأـغـرـاضـ لـأـنـعـمـهـ ،ـ وـالـثـانـيـ أـنـ انـوـاعـ الـحـيـوـانـ مـتـوـلـةـ كـلـهاـ مـنـ اـصـلـ وـاحـدـ اوـ بـنـسـمـةـ اـسـوـلـ وـاـنـ ماـ يـبـهـاـ مـنـ التـشـابـهـ دـلـيلـ عـلـىـ وـحدـةـ اـصـلـهاـ وـماـ يـبـهـاـ مـنـ التـفـوقـ عـرـضـ تـوـلـدـ بـهـاـ لـاـخـتـلـافـ الـمـؤـرـاتـ الـخـارـجـيـةـ كـاـ تـوـلـدـ الـمـيـزـاتـ فـيـ اـفـرـادـ النـوعـ الـوـاحـدـ بـاـخـتـلـافـ الـامـكـنـةـ وـالـمـؤـرـاتـ .ـ وـهـلـ هـذـاـ الـذـهـبـ النـانـ أـكـثـرـ عـلـاءـ الـطـبـيـعـةـ وـهـمـ يـقـرـوـنـ أـنـ الـطـيـورـ تـوـلـدـ مـنـ الـرـاحـافـاتـ الـمـرـوـفـةـ بـالـعـظـيـاتـ .ـ وـقـدـ وـضـعـ بـعـضـهـمـ رـوـاـيـةـ فـكـاهـيـةـ عـبـرـ بـهـاـ عـنـ كـيـفـيـةـ هـذـاـ التـوـلـدـ عـلـىـ اـسـلـوبـ اـدـبـيـ عـالـىـ :

حدثـ مـذـعـشـرـينـ مـلـيـونـاـ مـنـ السـنـينـ أـنـ ذـكـراـ وـانـشـيـ منـ الـعـظـيـاتـ الـكـبـيرـ زـواـجاـ وـاسـتـرـاـ فيـ اـحـدـ السـواـحـلـ الـبـحـرـيـةـ فـيـ غـرـبيـ اوـرـباـ وـكـانـ لـكـلـ مـهـماـ دـأـسـ كـبـيرـ طـوـرـلـ مـتـدـقـ كـنـقـارـ الطـاوـرـ وـبـدـانـ طـوـلـتـانـ وـرـجـلـانـ فـصـيـرـقـانـ وـالـدـكـرـ مـنـهـاـ أـكـبـرـ مـنـ الـانـيـ جـمـاـ وـاـنـدـ عـفـلـاـ فـعـاـشـاـ كـلـاـمـاـ بـالـغـاءـ وـاـطـهـاءـ عـلـىـ اـحـنـ حـالـ فـيـ ذـكـرـ الـعـصـرـ وـهـوـ الـعـصـرـ الثـانـيـ مـنـ الـعـدـوـ الـمـيـلـوـجـيـةـ .ـ وـكـانـ فـارـهـاـ شـدـيدـ الـرـطـوبـةـ وـلـكـنـ رـطـوبـتـهـ لـمـ تـضـرـهـ بلـ شـعـبـهـاـ وـلـاـ سـيـاـ بـعـدـ اـنـ عـلـاـ الـبـاتـ حـوـلـهـ وـسـارـ يـمـعـجـبـهـاـ عـنـ الـاـنـظـارـ

وـلـمـ نـعـضـ رـايـمـ كـثـيرـهـ حـتـىـ وـلـدـتـ الـانـيـ وـلـدـاـ ذـكـراـ ظـاهـيـتـهـ كـلـامـ الرـؤـومـ وـرـاءـ اـبـوـ فـاحـجهـ وـجـعـلـ يـسـىـ لـرـوـجـهـ وـوـلـدـهـ ثـمـ اـنـتـهـ هـوـ وـهـيـ اـنـقـيـ وـلـعـاـ شـيـئـاـ مـلـيـرـيـاـهـ فـيـ اـوـلـادـ غـيرـهـاـ مـنـ الـعـظـيـاتـ وـعـوـغـشـاءـانـ طـيـبـانـ صـفـيـقـانـ يـعـنـدـ اـنـ مـنـ يـدـيـهـ اـلـ حـقـوـيـهـ .ـ جـمـلـاـ يـفـكـرـانـ فـيـ اـسـرـ هـذـيـنـ الـفـشـائـينـ وـلـاـ يـدـرـ كـانـ الـمـرـادـ مـنـهـاـ وـلـاـ كـيـفـ تـوـلـدـاـ الـأـنـذـلـكـ لـمـ يـصـرـفـهـ عـنـ حـبـ وـلـعـهـ لـاـنـ الـلـدـفـلـةـ مـنـ الـكـبدـ .ـ وـلـمـ رـأـيـاـ اـنـ هـذـيـنـ الـفـشـائـينـ كـالـجـنـاحـينـ سـيـاهـ اـبـاـ جـنـاحـ وـلـمـ يـكـنـ فـيـ الـأـرـضـ حـيـوانـ مـجـنـحـ غـيرـ الـخـرـاثـ وـشـبـ اـبـوـ جـنـاحـ شـدـيدـ الـعـصـابـ قـوـيـ العـضـلـ مـاـتـخـرـ وـالـدـاءـ بـهـ وـجـعـلـ يـسـرـاـنـ فـيـ طـلـبـ الـرـزـقـ وـيـأـخـذـاـهـ مـعـهـ يـمـلـأـهـ الصـيدـ وـالـقـصـمـ .ـ وـلـمـ يـكـنـ الـعـدـوـانـ شـدـيدـاـ بـيـنـ الـحـيـوـانـاتـ فـيـ تـلـكـ الـأـيـامـ لـاـنـ كـانـتـ تـعـلـمـ اـنـ بـعـضـهـاـ خـلـقـ لـعـضـ اـكـلـاـ فـاـذاـ اـفـتـسـنـ الـكـبـيرـ مـنـهـ الصـغـيرـ لـمـ كـمـ الـتـدرـ .ـ

ورأى أبو جناح من والديه عذراً له فلترَ بنفسه ولم يعد يحب لغير الأيام حسناً . وظلَّ على هذه الحال ونظيره ملء دماغه إلى أن رأى عظاية من نوعه في ريحان مسامها فشققت له وكافتها بما في قواطعه فنظرت إلى جناحيه وتبست ثم قالت له لا تتضرر مني وصلماً ما لم أر منك فعلاً فتزوجه على أقرانك . فقال لها إذا كان الأمر كذلك فسترين مني ما تفترض كل زوجة أن تزوج في زوجها . واحد من ذلك الحين يفكِّر في طريقة يظهر بها سماته حتى ترغب حبيبته فيه

واتفق ذات يوم له كأن واقفاً على قمة اكلة فرأى وحشاً كبيراً يندو منه وهو طوبل العنق هائل الجثة جسمه مغطى بجراشف كبيرة صنفية كالدروع وذنبه غليظ يستدق رويداً رويداً حتى يعبر كالقصبة وهذا الوحش من نوع العطاياات ولكنها من أكبرها جسماً وأشدتها بعضاً فعلم أبو جناح أنه إذا قبض ذلك الوحش عليه لم يكن الألقنة في فيه . وكان أبواه قد علمه أنه يهرب من وجهه حينما رأه والأفعى عليه أنها الآلة فلم ير إلى أقرب سبيلاً لأن الوحش ياغته باغنته فضل اعصابه . ولكن المصائب تتبع الغرائب واللحاجة تتفق الحيلة فحدث حينئذ ما لم يحدث في طلاقه من قبل فإنه لم يكُد ذاك الوحش يهدعه ليتهم إيا جناح حتى بسط أبو جناح ذراعيه ووُكب طالباً الفرار وجعل يرفرف سرعاً خوفاً من عدوه فله الماء كالمشرارات . فثبت له حينئذ أن ذيتك العشرين الذين لم يعلم لهم نعماء قد انتقاموا من الملكة . ورأيت العطاياات لإيجابه طارأً في الجو فوقت مدهوشة لأنها أول حيوان طار في الهواء . ولم يكُد يصل إلى الأرض حتى صُلِمَتْ آني من القعال لم يأتِه غيره من الأقران واجتسمت العطاياات حوله تسع فصيَّة من الوحش وتُنظَر إلى جناحيه مدهوشة وطلبت منه أن يجري بالطيران أمامها ففعل وطار فوق رؤوسها ثم عاد إلى المكان الذي طار منه والعيون شاحمة إليه . وكانت حبيبته بين الجماعة وقد خفت قواطعها جسماً وسروراً فلم يكن إلا أيام حتى افتقن ثم ولد لها ثلاثة أولاد وكلّ منها ثرثرة التي كانت للوالد أي غشاءان صفيقان من ذراعيه إلى حقوقه . وتوالى نسلها دهوراً طولاً . وهذه الخاتمة فيه إلى أن ولد لها أولاد على اجتنابها ريش وهي الطيور المعروفة . وقد حدث هذا كلَّه منذ ألاف وملايين من السنين والآثار المتحجرة في الأرض تدل على ذلك كما تدل آثار الهياكل المصرية القديمة عن السكان القداميين وعمرائهم . ويقول عفان الطبيعة إن التغير يحدث في الأفراد من وقت إلى آخر فإذا نعم لحفظ انفرد وظهر في نسله بالوراثة استمر فيه وقرى رويداً رويداً بالاستعمال حتى يصير من الميزات أو المقومات النوع فيصير مثل ذلك الفرد نوعاً فاما برأسه لكن الاختلاف الطبيعي لا يُرسخ في النسل ويصبح من مقومات النوع إلا بعد دهور طوال



أحد الطيور المسنة الشائكة وهي متوجدة بين
أزواحف والطيور المائية